جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الاستبدال في ضوء القرآن الكريم
دراسة نظرية تطبيقية
على الآية (٥٤) من سورة المائدة

الدكتور
حاتم بن عابد القرشي
الأستاذ المشارك
بقسم القراءات بكلية الشريعة والأنظمة جامعة الطائف

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
الجزء الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

الاستبدال في ضوء القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية على الآية (٥٤) من سورة المائدة

إن الله عز وجل جعل كتابه المتين كتاب هداية ورشاد لمن آمن به واتبع هداه، ومن آياته المحكمات التي رسمت للأمة طريق النجاة والتمكين الآية رقم ٥٤ من سورة المائدة .

فقد رسمت هذه الآية مسلك النجاة للأمة الإسلامية عند حدوث الارتداد عن الدين لمن أغواه الشيطان فنكص على عقبيه. كما اشتملت على أحكام، ومقاصد، وغايات جليلة، نبحر في معانيها، وننهل من معينها، ونفتش في كتب التفسير وغيرها حول ما قاله العلماء في بيان معانيها وأحكامها ودلائلها، في دراسة تحليلية واطلالة موضوعية حول موضوع هذه الآية الكريمة .

الدكتور

حاتم بن عابد القرشي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات

بكلية الشريعة والأنظمة جامعة الطائف

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Research Summary

Replacement in the light of the Holy Quran applied theoretical study
On the verse (54) of Surat Al-Maida

The Almighty God made his book the book of Hidayat and Rashad for those who believed in him and followed his guidance, and from his verses the arbitrators that painted the nation the path of salvation and empowerment verse 54 of Surat Al-Maida.

This verse painted the path of salvation for the Islamic nation when the apostasy of religion comes to those who seduced the devil and we recite on his heels. We also look at the books of interpretation and others about what the scholars said in a statement of their meanings, rulings and evidence in an analytical study and an objective view on the subject of this verse.

Dr
Hatem bin Abed Al - Qurashi
Associate Professor, Department of Readings
Faculty of Sharia and regulations Taif University

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الله عز وجل جعل كتابه المتين كتاب هداية ورشاد لمن آمن به واتبع هداه، ومن آياته المحكمات التي رسمت للأمة طريق النجاة والتمكين قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة ٥٤].

فقد رسمت هذه الآية مسلك النجاة للأمة الإسلامية عند حدوث الارتداد عن الدين لمن أغواه الشيطان فنكص على عقبيه. كما اشتملت على أحكام، ومقاصد، وغايات جليلة، نبحر في معانيها، وننهل من معينها، ونفتش في كتب التفسير وغيرها حول ما قاله العلماء في بيان معانيها وأحكامها ودلائلها، في دراسة تحليلية واطلالة موضوعية حول موضوع هذه الآية الكريمة، في ضوء الأسئلة التالية:

س١ / من المخاطب بهذه الآية؟ وهل حكمها باق أم انتهى؟

س٢/ ما المراد بالردة الواردة في الآية؟

س٣/ في أي سياق جاءت هذه الآية؟

س٤/ ما المراد بالصفات الواردة في الآية لمن يستخلفهم رب العالمين؟

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم خالصًا، ولعباده نافعًا، وأن يعفو فيه عن الزلل، وأن يتقبله مني، وينفع به الإسلام والمسلمين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلق هذا الموضوع بالقرآن الكريم، وهو الهادي من الضلال عند مدلهمات الفتن.

٢- إبراز المفاهيم الصحيحة لمسائل الردة فيها، وفي ذلك دحض للمفاهيم المغلوطة لدى البعض ما بين متطرف غالي ومتطرف جافٍ.

٣- تحرير مفهوم بالردة الوارد في الآية.

٤- بيان ما تضمنته الآية من صفات للمصلحين وأهل التمكين وفي بيانها أهمية كبيرة، لإيضاحها لمن سلك سبيل الإصلاح ورام التمكين في الأرض، وجمع شتات تفسيرها في موضع واحد.

٥- إظهار الأحكام التي تناولتها الآية الكريمة، وسنن الله تعالى في خلقه، حيث تناولت الآية حكم الردة، وسنة الاستخلاف.

الدراسات السابقة:

لم أقف على من أفرد هذه الآية بالبحث، وإنما الوراد هو منثور في كتب التفسير.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط للنص القرآني، وذلك بتحليل الآية، واستنباط ما فيها من أحكام وفوائد ومقاصد.

<u>أما عن المنهج العلمي فى هذه الرسالة، فكان على النحو التالى:</u>

١. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت اسم السورة ورقم الآية منها في الحواشي.

٢. خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، وما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به.

٣. توثيق ما أنقله من مصادره الأصيلة وإن لم أجد فممن نقل عنه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين.

المقدمة: تحتوي على أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

تمهيد: سنة الاستبدال وأسبابها.

المبحث الأول: التعريف بالآية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الآية، وسياقها ومناسبتها لما قبلها وبعدها.

المطلب الثاني: سبب نزول الآية.

المطلب الثالث: وقفات مع معنى الآية.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي للآية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخاطب بالآية.

المطلب الثاني: معنى الردة لغة وشرعا.

المطلب الثالث: صفات الذين يُسْتَبدل بهم، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: صفة المحبة.

المسألة الثانية: معنى {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ}.

المسألة الثالثة: الجهاد والمراد به في الآية.

المسألة الرابعة: معنى { وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ}.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

✿✿✿

تمهيد

ورد في القرآن العديد من الآيات التي جاء فيها التصريح بسنة الاستبدال، والمقصود سنة استبدال قوم بآخرين عند تبديليهم أو نكوصهم على أعقابهم، وليس مجرد لفظ الاستبدال، ومن تلك الآيات التي جاء التصريح فيها بسنة الاستبدال:

الآية الأولى: قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

الآية الثانية: قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٨- ٣٩].

الآية الثالثة: قال تعالى: {هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم} [محمد: ٣٨].

نلحظ أن هذه الآيات في فئة المؤمنين الذين تخلوا عن بعض ما أمروا به من إنفاق أو جهاد وغيره، فاستبدلهم الله بغيرهم ممن ينصر دينه، أو توعدهم بالاستبدال عن عدم قيامهم بما أمروا به.

وهناك آيات أخرى كثيرة تحدثت عن الاستخلاف في الأرض وهذه ليست داخلة في بحثنا؛ لأنها مع قوم كافرين أو ضمن إهلاك الأمم الكافرة.

فالاستبدال سنة من سنن الله تعالى في خلقه، ويمكن استنباط أسبابه من الآيات السابقة فيما يلي:

١- الانحراف عن شريعة الله تعالى:

فإن الانحراف عن الشريعة والرجوع عنها، موجب لإذن الله تعالى باستبدالهم، كما جاء في الآية مدار البحث عند وقوع الردة. وسيأتي مزيد حديث عن هذه الآية.

٢- ترك الجهاد والتباطؤ عن نصرة الدين:

بين تعالى في سورة التوبة في الآية السابقة أن الركون للدنيا عند الدعوة للجهاد من ولي الأمر هو سبب في العقوبة والاستبدال. قال أبو حيان: "هذا سخط على المتثاقلين عظيم، حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه، لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا" اهـ (١).

قال ابن العربي عن الوعيد المذكور في الآية: "وهذا تهديد شديد، ووعيد مؤكد لمن ترك النفير مع رسول الله ﷺ يعذبكم عذاباً أليماً" اهـ (٢).

٣- عدم الإنفاق في سبيل الله تعالى:

ذكر سبحانه عقوبة التخلف عن الإنفاق في سبيل الله، وأنه إذا عصى القوم ربهم وأعرضوا عن طاعته، وعن إخراج زكاة أموالهم والإنفاق كما أمرهم، حينها يأذن الله تعالى باستبدالهم، أي: يستبدل قوماً غيرهم يكونون

(١) البحر المحيط (٥/٤٢٠).
(٢) أحكام القرآن (٢/٥١١).

أشد منكم طاعة، وأصدق منهم وفاء فهو قادر على خلق أمثالهم ثم لا يكونون أمثالهم في العصيان والإعراض وترك الشكر، بل سيكونون خيرا منهم(١).

وقد يراد في الآية أن الاستبدال يقع عند الإعراض عن دين الله جملة، وإن كان سياقها في الإعراض عن الإنفاق في سبيل الله بالزكاة المفروضة أو غيرها، وهما من دين الله، وأبو بكر الصديق قاتل المرتدين لمنعهم الزكاة.

وما سبق بعض الأسباب التي يقع بها الاستبدال، وهذا تمهيد وتوطئة لصلب البحث في نوع من سنة الاستبدال.

۞۞۞

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٩٢/٢٢)، ولطائف الإشارات، للقشيري (٤١٦/٣).

المبحث الأول

التعريف بالآية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــــب الأول: أهمية الآية، وسياقها ومناسبتها لما قبلها وبعدها.

المطلـب الثـاني: سبب نزول الآية.

المطلـب الثالـث: وقفات مع معنى الآية.

المطلب الأول:

أهمية الآية، وسياقها ومناسبتها لما قبلها وبعدها

أولاً: أهمية الآية:

هذه الآية من الآيات العظيمة المشتملة على بيان مهيع النجاة لمن رامها عند حصول الردة من فئام من المجتمع الإسلامي ركنوا إلى الدنيا فوقعوا في الردة، فذكر الله فيها سنة الاستبدال الذي يقع من رب العالمين على الذين بدلوا وغيروا فيأت الله بمن يقيم دنيه ويعلي كلمته، قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلاً كما قال تعالى: {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم} [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ} [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ} [إبراهيم: ١٩، ٢٠]، أي: بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ} [المائدة: ٥٤] أي: يرجع عن الحق إلى الباطل"(١).

وقد جمعت الآية بين الوعد والوعيد، فالوعيد من الله تعالى لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد ﷺ، والوعد للمؤمنين لمن سبق له في علم الله أنه لا يبدل ولا يغير دينه ولا يرتد. قال ابن جرير: "وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد ﷺ، وكذلك وعْده من وَعَد من المؤمنين ما وَعَده في هذه الآية، لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه ولا يرتد. فلما قبَض الله نبيَه ﷺ ارتد أقوام من أهل الوبر وبعض

(١) تفسيره (٣/١٣٥).

أهل المدر، فأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده"(١).

وقد نص جمع من المفسرين أيضاً على تضمن هذه الآية للوعيد وعلى استشراف مستقبل الأمة الإسلامية، فقال مكي بن أبي طالب: "هذه الآية وعيد لمن يرتد فيما يستقبل؛ لأن الله تعالى قد علم أنه سيرتد بعد وفاة نبيه ﷺ قوم"(٢). وقال الزمخشري: "وهو من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل كونها"(٣).

فهذه الآية من آيات النبوة ومن آيات القرآن الخالدة، اعتبرها بعض المفسرين من معجزات النبوة المحمدية لِمَا أخبرت عنه من غيب مستقبلي، قال العز بن عبد السلام: "في الآية إعجاز النبوة؛ حيث أخبر بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصديق؛ لأنه جاهد المرتدين"(٤). وقال القرطبي: "وهذا من إعجاز القرآن والنبي ﷺ؛ إذّ أخبر الله عن ارتدادهم، ولم يكن ذلك في عهده، وكان ذلك غيباً، فكان على ما أخبر بعد مدة، وأهل الردة كانوا بعد موته ﷺ"(٥).

ومن اللفتات البديعة أن الفخر الرازي اعتبر هذه الآية من أقوى الدلائل في الرد على الرافضة فقال في تفسيره: "هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض، وتقرير مذهبهم أن الذين أقروا بخلافة أبي بكر

---

(١) تفسيره (٨/٥١٨).
(٢) الهداية (٣/١٧٨٤).
(٣) الكشاف (١/٦٣٠) وكذا قال أبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٨٧).
(٤) تفسيره (١/٣٧٨).
(٥) تفسير القرطبي (٨/٥١).

وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين، لأنهم أنكروا النص الجلي على إمامة علي عليه السلام فنقول: لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم ويقهرهم ويردهم إلى الدين الحق بدليل قوله: {مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ}.... إلى آخر الآية وكلمة {مَن} في معرض الشرط للعموم، فهي تدل على أن كل من صار مرتداً عن دين الإسلام فإن الله يأتي بقوم يقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم، فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم ويبطل مذهبهم، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإن الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبداً منذ كانوا علمنا فساد مقالتهم ومذهبهم، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف"(١).

ثانياً: سياق الآية ومناسبتها لما قبلها وبعدها:

جاءت الآية في سياق التحذير من موالاة اليهود والنصارى، فجاء قبلها قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [المائدة ٥١] ثم جاءت الآية مدار البحث، ثم جاء عقبها قول المولى سبحانه: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ} [المائدة: ٥٥] ثم جاء تأكيد الموالاة الشرعية فقال: {وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ} {وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ} [المائدة ٥٦] ثم عقبها بتكرار التحذير من موالاة أهل الكتاب فقال جل وعلا: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة ٥٧].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧٨/٤).

فجاء تكرار الأمر والنهي في الولاء والبراء، حذَّر أولاً من موالاة اليهود والنصارى، ثم بين الولاء الشرعي وأنه لله ولرسوله وللمؤمنين، ثم كرر التحذير من ولاء اليهود والنصارى، وفي وسط هذا السياق تأتي آية الردة والاستبدال، فيتضح وجود الارتباط الوثيق بينها، وأن المراد التحذير من موالاة اليهود والنصارى وأن ذلك سبب للردة والنكوص عن دين الإسلام.

قال المهدوي عن آية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [المائدة: ٥٥]: "هذه الآية راجعة إلى قوله: {لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ}[المائدة ٥١] "(١).

وقال مكي بن أبي طالب عن ذات الآية: "هذه الآية راجعة إلى ما تقدم من تحذير الله المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، فأعلمهم في هذه الآية أن الذي هو وليهم الله ورسوله والذين آمنوا"(٢).

فوقعت الآية مدار البحث بين سياقين عن الولاء الصحيح والولاء الباطل، فالولاء الصحيح الذي جاء عقب الآية وهو الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والولاء الباطل هو الذي جاء في صدر السياق وهو موالاة اليهود والنصارى. فجاء التحذير من سبيل الغواية ثم جاء بيان الطريق الصحيح، قال أبو حيان: "لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، بيَّن هنا مَن هو وليهم، وهو الله ورسوله"(٣).

وقال محمد رشيد رضا: " هذه الآيات من تتمة السياق السابق، فلما كان من يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعد منهم كان أولئك الذين يسارعون فيهم من مرضى القلوب مرتدين بتوليهم إياهم، فإن أخفوا ذلك

(١) التحصيل (٤٦٨/٢).
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٨٦).
(٣) البحر المحيط (٤/ ٣٠٠).

فإظهارهم للإيمان نفاق". اهـ (١).

وبهذا السياق نجد أن الله يحذر المؤمنين من الردة، ومن صورها موالاة اليهود والنصارى، فإذا وقعت الردة استبدلهم الله بغيرهم ممن ينصر دينه، ويعرفون أن الولاة الحق لله ولرسوله ﷺ، قال الفخر الرازي: "معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه"(٢). وقال أبو السعود: "لما نهي فيما سَلَف عن موالاة اليهود والنصارى وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصَّل مصيرَ أمْرِ من يواليهم من المنافقين شَرَع في بيان حال المرتدين على الإطلاق"(٣). وقال ابن عاشور: "جملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ﴾ إلخ معترضة بين ما قبلها، وبين جملة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]، فتعقيبها بهذا الاعتراض إشارة إلى أن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ذريعة للارتداد؛ لأن استمرار فريق على موالاة اليهود والنصارى من المنافقين وضعفاء الإيمان يخشى منه أن ينسل عن الإيمان فريق. وأنبأ المترددين ضعفاء الإيمان بأن الإسلام غني عنهم إن عزموا على الارتداد إلى الكفر"(٤).

۞۞۞

(١) تفسير القرآن الحكيم (٦/ ٣٧٥).
(٢) مفاتيح الغيب (٣٧٨/٤).
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٢٨٧).
(٤) التحرير والتنوير (٥/ ١٣٤).

المطلب الثاني: سبب نزول الآية

سبق معنا أن جَمْعاً من المفسرين اعتبروا هذه الآية من الإخبار بالغيب كما نص على ذلك أبي حيان فقال عنها: "هي إخبار عن الغيب"(١).

كما أنه لم يرد في الآية سبب نزول صريح بها، وإنما جُلُّ ما ذكره المفسرون هو فيمن تنطبق عليهم الآية وليس سبباً لنزولها، ومن تلك الروايات:

روي عن الحسن قال: "نزلت في أبي بكر وأصحابه"(٢).

وعن الضحاك قال: "هو أبو بكر وأصحابه لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام(٣).

وعن شريح بن عبيد قال: "لما أنزل الله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ} إلى آخر الآية؛ قال عمر: أنا وقومي هم يا رسول الله، قال: "لا، بل هذا وقومه"؛ يعني: أبا موسى الأشعري"(٤).

فظاهر من الروايات السابقة أنها ليست أسباب نزول صريحة، وإنما هي وقائع وقعت بعد نزول الآية؛ بل بعد انقطاع الوحي ووفاة المصطفى ﷺ.

وقد أشار ابن عاشور إلى أن الآية من أواخر ما نزل على النبي ﷺ وأنها كانت إيماء على ما سيحصل من ردة عند بعض العرب، قال في التحرير

---

(١) البحر المحيط (١١/ ٩٨).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٨٢- ١٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٦٠).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٦١).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٨٤).

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

والتنوير: "وفي نزول هذه الآية في أواخر حياة الرسول ﷺ إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام مثل أصحاب الأسود العنسي باليمن، وأصحاب طلحة بن خويلد في بني أسد، وأصحاب مسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة. ثم إلى ما كان بعد وفاة الرسول ﷺ من ارتداد قبائل كثيرة مثل فزارة وغطفان وبني تميم وكندة ونحوهم. قيل: لم يبق إلا أهل ثلاثة مساجد: مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد (جواثى) في البحرين. وقد صدق الله وعده ونصر الإسلام فأخلفه أجيالا متأصلة فيه قائمة بنصرته"(١).

(١) (٥/ ١٣٥).

المطلب الثالث: وقفات مع معنى الآية

بدأت الآية بتوجيه الخطاب للمؤمنين المصدقين بالنبي ﷺ وما جاء به، ثم جاء بجملة شرطية وهي {مَن يَرْتَدَّ}وجوابها {فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ}(١) لبيان أن مَن يرجع منهم عن دينه الحق الذي هو عليه، فيبدله ويغيره بدخوله في أي ملل الكفر يهودية أو نصرانية أو غيرها، فلن يضر الله شيئاً وسيوجد الله قوماً بدلاً عنهم وخيراً منهم لا يبدلون ولا يرتدون بل ينصرون الله ودينه، وفي هذا وعد بأن هذا الدين لا يُعدم أتباعاً بررة مخلصين. ومعنى هذا الوعد إظهار الاستغناء عن الذين في قلوبهم مرض وعن المنافقين وقلة الاكتراث بهم، وتطمين الرسول والمؤمنين الحق بأن الله يعوضهم بالمرتدين خيراً(٢).

ومن صفات هؤلاء القوم أنهم يحبون الله، ويحبهم الله؛ لصلاحهم واستقامتهم، وهم رحماء بإخوانهم المؤمنين وأشداء على الكافرين، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة التوحيد، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم؛ لكونهم يحبون الله فيغلبون رضاه على رضى غيره من المخلوقين، وهذا الذي يحصل لهم هو من فضل الله عليهم بأن حباهم بهذه الصفات التي ينالون بها رضوانه، وكانت مشيئة الله أن تكون هذه المنح الربانية لأولئك الذين اصطفاهم الله، والله واسع الفضل والعطاء، وعليم بمن يستحق هذا الفضل من عدمه(٣).

ولو قيل إن الشرط لا يقع إلا في الأمور الافتراضية وما تضمنته الآية قد وقع بالفعل، فأجاب عن هذا الألوسي بقوله: "واعتراض القول بأن هذا من

(١) انظر جامع أحكام القرآن لقرطبي (٥١/٨) والبحر المحيط (١١/ ٩٨).
(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/ ١٣٥).
(٣) انظر تفسير ابن جرير (٥١٨/٨).

الكائنات التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها بأن "من" شرطية، والشرط لا يقتضي الوقوع إذ أصله أن يستعمل في الأمور المفروضة، وأجيب بأن الشرط قد يستعمل في الأمور المحققة تنبيهاً على أنها لا يليق وقوعها بل كان ينبغي أن تدرج في الفرضيات وهو كثير، وقد علم من وقوع ذلك بعد هذه الآية أن المراد هذا"(١).

وهنا تنبيهان مهمان؛ الأول: أن الاستبدال إذا وقع فلا يلزم أن الفئة التي ارتدت أنه لن يكون فيها خيراً مطلقاً؛ بل ربما عاد بعضهم إلى صوابه ونصر دين الله، والثاني: أن حكم الآية باق على مر عصور الأمة الإسلامية، وأن الفئة التي تنصر دين الله ستظل موجودة ما بقي هذا الدين قائمة، ولو اختلفت أعراقها وأجناسها، وقد بَيَّن ذلك بأوضح عبارة ابنُ عاشور فقال: "وقوله: {يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ}الإتيان هنا الإيجاد، أي يوجد أقواما لاتباع هذا الدين بقلوب تحبه وتجلب له وللمؤمنين الخير وتذود عنهم أعداءهم، وهؤلاء القوم قد يكونون من نفس الذين ارتدوا إذا رجعوا إلى الإسلام خالصة قلوبهم مما كان يخامرها من الإعراض مثل معظم قبائل العرب وسادتهم الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة زمن أبي بكر، فإن مجموعهم غير مجموع الذين ارتدوا، فصح أن يكونوا ممن شمله لفظ بقوم، وتحقق فيهم الوصف وهو محبة الله إياهم ومحبتهم ربهم ودينه، فإن المحبتين تتبعان تغير أحوال القلوب لا تغير الأشخاص فإن عمرو بن معد يكرب الذي كان من أكبر عصاة الردة أصبح من أكبر أنصار الإسلام في يوم القادسية، وهكذا.

ودخل في قوله: {بقوم} الأقوام الذين دخلوا في الإسلام بعد ذلك مثل عرب الشام من الغساسنة، وعرب العراق ونبطهم، وأهل فارس، والقبط، والبربر، وفرنجة إسبانية، وصقلية، وسردانية، وتخوم فرانسا، ومثل الترك

---

(١) روح المعاني (٧/ ٢٥٣).

والمغول، والتتار، والهند، والصين، والإغريق، والروم، من الأمم التي كان لها شأن عظيم في خدمة الإسلام وتوسيع مملكته بالفتوح وتأييده بالعلوم ونشر حضارته بين الأمم العظيمة، فكل أمة أو فريق أو قوم تحقق فيهم وصف: يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهم من القوم المنوه بهم أما المؤمنون الذين كانوا من قبل وثبتوا فأولئك أعظم شأنا وأقوى إيمانا فأتاهم المؤيدون زرافات ووحدانا"(١).

۞۞۞

(١) التحرير والتنوير (٥/ ١٣٥).

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المبحث الثاني
التفسير التحليلي للآية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخاطب بالآية.

المطلب الثاني: معنى الردة لغة وشرعا.

المطلب الثالث: صفات الذين يُسْتَبدل بهم.

المطلب الأول: المخاطب بالآية

اختلف المفسرون في تحديد المخاطب بهذه الآية، وأشهرها خمسة أقوال (١):

القول الأول: أبو بكر الصديق ﷺ وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه. وهو قول الحسن والضحاك وقتادة وابن جريج وعلي بن أبي طالب ﷺ .

القول الثاني: بعض أهل اليمن وهم رهط أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس. رواه ابن جرير مرفوعاً: "عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} قال: " أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: «هم قوم هذا»"(٢).

القول الثالث: هم أهل اليمن جميعاً. وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب ومحمد بن كعب القرظي.

القول الرابع: هم أنصار رسول الله ﷺ. وهو قول السدي.

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٨/٥١٨-٥٢١)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٧٨٤)، والبسيط للواحدي (٧/ ٤٢٨ - ٤٢٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٥٢)، وزاد المسير (٢/ ٣٨٠-٣٨١).

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٥٢١-٥٢٣). وأخرج الحديث الطبراني في المعجم الكبير، ٣٧١/١٧، رقم (١٠١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في أبي موسى رضي الله عنه، ٣٨٧/٦، رقم (٣٢٢٦١). وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم (١٠٩٧٦).

القول الخامس: أن المراد بهم المهاجرون والأنصار، ذكره ابن الجوزي وعزاه لأبي سليمان الدمشقي.

والقول الثاني والثالث في أصلهما قول واحد؛ لأن رهط أبي موسى الأشعري من أهل اليمن، قال ابن عطية: "وهذا كله عندي قول واحد؛ لأن أهل اليمن هم قوم أبي موسى"[١]. وعبارة ابن جرير دقيقة وهي أن القول الثاني خاص ببعض أهل اليمن، والثالث عام لجميع أهل اليمن.

وأما القول الرابع والخامس فتوجه على أن القائلين بها أرادوا العموم، وتكون باقي الأقوال داخلة فيها؛ لأن أبا بكر ومن معه أو رهط الأشعريين هم من المهاجرين أو من الأنصار ﭫ.

ورجَّح ابن جرير أنهم رهط أبي موسى الأشعري فقال: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما رُوي به الخبر عن رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري. ولولا الخبر الذي رُوي في ذلك عن رسول الله ﷺ بالخبر الذي رُوي عنه ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه؛ وذلك أنه لم يُقاتِل قوماً كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتدوا على أعقابهم كفارا غيرُ أبي بكر ومن كان معه ممن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله ﷺ، ولكنا تركنا القول في ذلك للخبر الذي روي فيه عن رسول الله ﷺ، أن كان ﷺ معدن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه. فإن قال لنا قائل: فإن كان القوم الذين ذكر الله أنه سيأتي بهم عند ارتداد من ارتد عن دينه ممن كان قد أسلم على عهد رسول الله ﷺ، هم أهل اليمن فهل كان أهل اليمن أيام قتال أبي بكر أهل الردة أعوان أبي بكر على قتالهم حتى تستجيز أن توجه تأويل الآية إلى ما وجهت إليه؟ أم لم يكونوا أعواناً له عليهم فكيف استجزت أن توجه تأويل الآية إلى ذلك، وقد علمت أنه لا خلف

(١) المحرر الوجيز (٣/٥٤٨-٥٤٩).

لوعد الله؟ قيل له: إن الله تعالى ذكره لم يعد المؤمنين أن يبدلهم بالمرتدين منهم يومئذ خيراً من المرتدين لقتال المرتدين، وإنما أخبر أنه سيأتيهم بخير منهم بدلاً منهم، يعد فعل ذلك بهم قريباً غير بعيد، فجاء بهم على عهد عمر، فكان موقعهم من الإسلام وأهله أحسن موقع، وكانوا أعوان أهل الإسلام وأنفع لهم ممن كان ارتد بعد رسول الله ﷺ من طغام الأعراب وجفاة أهل البوادي الذين كانوا على أهل الإسلام كلا لا نفعا"(١).

واختار الفخر الرازي بأن المقصود بالآية أبا بكر الصديق وانتصر لذلك ورد على باقي الأدلة فقال: "هذه الآية يجب أن يقال: إنها نزلت في حق أبي بكر والدليل عليه وجهان: الأول: أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين، وأبو بكر هو الذي تولى محاربة المرتدين على ما شرحنا، ولا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه السلام لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين، ولأنه تعالى قال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ﴾ وهذا للاستقبال لا للحال، فوجب أن يكون هؤلاء القوم غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب.

فإن قيل: هذا لازم عليكم لأن أبا بكر كان موجوداً في ذلك الوقت.

قلنا: الجواب من وجهين: الأول: أن القوم الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردة ما كانوا موجودين في الحال، والثاني: أن معنى الآية أن الله تعالى قال: فسوف يأتي الله بقوم قادرين متمكنين من هذا الحراب، وأبو بكر وإن كان موجودا في ذلك الوقت إلا أنه ما كان مستقلاً في ذلك الوقت بالحرب والأمر والنهي، فزال السؤال، فثبت أنه لا يمكن أن يكون المراد هو الرسول ﷺ... ولا يمكن أيضا أن يقال: إنها نازلة في أهل اليمن أو في أهل فارس، لأنه لم يتفق

(١) انظر تفسير ابن جرير (٨/٥٢٥)، وهو قول العز بن عبد السلام في تفسيره (١/٣٧٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (١١/ ١٠٠)، والألوسي في روح المعاني (٧/ ٢٥٦). وقال العز بن عبد السلام في الموضع السابق: "ويؤيده إقبالهم – أي أهل اليمن– في عهد عمر لقتال الروم والفرس، وكانوا أعونَ لأهل الإسلام، وأنفع ممن كان ارتد".

لهم محاربة مع المرتدين، وبتقدير أن يقال: اتفقت لهم هذه المحاربة ولكنهم كانوا رعية وأتباعا وأذنابا، وكان الرئيس المطاع الآمر في تلك الواقعة هو أبو بكر، ومعلوم أن حمل الآية على من كان أصلا في هذه العبادة ورئيسا مطاعا فيها أولى من حملها على الرعية والأتباع والأذناب، فظهر بما ذكرنا من الدليل الظاهر أن هذه الآية مختصة بأبي بكر"(١).

والراجح هو ما اختاره ابن جرير لما صح عن رسول الله ﷺ .

بيد أن المفسرين في اختيارهم إنما أرادوا تحديد المقصود بهم وقت نزول الآية أو بعده بحين، وليس حَصْر مفهوم الآية عليهم دون غيرهم، فالخلاف في الأولية فيمن نزلت فيهم الآية وتنطبق عليهم الصفات المذكورة في الآية، والخلاف فيها محتمل وتعدد الأقوال وارد، فالخطاب موجه لمن نزلت فيهم والمراد هم ومن يأتي بعدهم.

ومن جهة أخرى فإن الآية عامة لكل المؤمنين كما جاء الخطاب به في الآية، وعليه عمل القاعدة المشهورة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال ابن عطية: "نزلت الآية خطاباً للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة، ومعنى الآية عندي أن الله وعد هذه الأمة من ارتد منها فإنه يجيء بقوم ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين فكان أبو بكر وأصحابه ممن صدق فيهم الخبر في ذلك العصر وكذلك هو عندي أمر علي مع الخوارج"(٢). وقال القرطبي: "الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة"(٣). ولذلك كل ما حصل ردة عن الإسلام بعث الله قوم تتوفر فيهم تلك الصفات ينصرون دينه ويدحضون الباطل.

۞۞۞

---

(١) مفاتيح الغيب (٤/٢٧٨-٢٧٩).
(٢) المحرر الوجيز (٣/٥٤٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٢١).

المطلب الثاني: معنى الردة لغة وشرعاً

أولاً: تعريف الردة في اللغة:

الرِّدَّة مصدر قولهم: ردَّ يردُّ ردَّاً وردِّة، وقيل الرِّدَّة الاسم من الارتداد، وهو مأخوذ من مادة (ردد) التي تدل على رجوع الشيء، تقول: رددت الشيء أرده ردَّاً (رجعته)، وسُمِّي المرتد بذلك؛ لأنه رد نفسه إلى كفره، والأصل في ذلك قولهم: شاة مردّ وناقة مردّة، وذلك إذا أضرعت كأنها لم تكن ذات لبن فردَّ عليها، أو ردَّت هي لبنها(١).

وقال الراغب: "الرّد: صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله... والارتداد والرِّدَّة: الرُّجوع؛ لكن الرِّدَّة تختص بالرُّجوع إلى الكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، وقول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ}. والارتداد هو الرُّجوع من الإسلام إلى الكفر"(٢).

وقال ابن منظور: "الرد: صرف الشيء ورجعه، ورَدَّه عن وجه يردُّه ردَّاً ومردَّاً أو ترداداً: صرفه، وهو بناء للتكثير. وقد ارتدَّ وارتدَّ عنه: تحوّل"(٣).

ثانياً: تعريف الردة في الاصطلاح، والمراد بالردة في الآية:

عرَّفها العلماء بتعريفات كثيرة، وأشملها تعريف النووي حيث قال: "الردة: قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل"(٤). قال ابن عاشور: "الوحظ في

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨٦). مادة (رد).
(٢) المفردات في غريب القرآن ص (٣٤٨).
(٣) لسان العرب (٣/١٧٢). مادة (ردد).
(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، (٧/٢٨٣)، وبمثل تعريف نووي عرفها المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف ص (١٧٦). وللاستزادة انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٣/ ٣٢١)، والمحلى لابن حزم (١٢/١١٥).

إطلاق اسم الارتداد على الكفر بعد الإسلام ما كانوا عليه قبل الإسلام من الشرك وغيره، ثم غلب اسم الارتداد على الخروج من الإسلام ولو لم يسبق للمرتد عنه اتخاذ دين قبله"(١).

ومن تعريفات العلماء للردة، ما يلي:

قال خليل المالكي: "كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه"(٢).

وقال ابن قدامة: "هي الإتيان بما يخرج به عن الإسلام إما نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً ينقل عن الإسلام"(٣).

وعرفها الشربيني الشافعي بأنها: "قطع استمرار الإسلام ودوامه"(٤).

وعرفها المليباري الحنفي، بقوله: "قطعُ مكلَّف مختار فتلغو من صبي ومجنون ومكره عليها إذا كان قلبه مؤمناً إسلاماً بكفرٍ عزماً حالاً أو مآلاً فيكفر به حالاً أو قولاً أو فعلاً، باعتقاد لذلك الفعل أو القول أي معه أو مع عناد من القائل أو الفاعل أو مع استهزاء أي استخفاف "(٥).

وأما أسبابها فإنها متعددة، وعلى سبيل الإجمال فإنها تكون بالقول وبالفعل وبالاعتقاد، فبالقول كسَبِّ الله أو رسوله ﷺ، وبالفعل كالسجود لغير الله، وبالاعتقاد كاعتقاد حِلِّ ما أجمع على تحريمه كالزنا، أو محبة دين اليهود أو النصارى وتفضيله على الإسلام... إلخ

(١) التحرير والتنوير (٥/ ١٣٤).
(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل (٣٧١/٨).
(٣) المغني (١/١٣٠).
(٤) مغني المحتاج (٤٢٧/٦).
(٥) فتح المعين (١٣٢/٤).

وأما الردة المراد بها في الآية فيوضحه سياق الآية كما سبق معنا في المطلب الأول، وقد أشرتُ إلى أن السياق في موالاة اليهود والنصارى، وبهذا تكون الردة المشار إليها في هذه الآية هي موالاة اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر(١).

۞۞۞

(١) مسألة موالاة اليهود والنصارى والحكم بكفر فاعلها فيه تفصيل ونقاش علمي، وهل المراد به موالاة الأفعال الظاهرة فقط، أم لابد من الموالاة القلبية حباً لدين الكفار وما يتبعه من مظاهرة ومناصرة، ولكون هذه المسألة خارجة عن حدود البحث فأكتفي بالإشارة لمرجع مهم فيه وهو كتاب الوعد الأخروي للدكتور عيسى السعدي (٢/٧٩٣-٧٩٧).

المطلب الثالث: صفات الذين يُسْتَبدل بهم:

المسألة الأولى: صفة المحبة

مفهوم المحبة لغة واصطلاحاً:

المحبة لغة:

المحبة مأخوذة (حَبَّ) قال ابن فارس: "الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثبات، والآخرُ الحَبَّةُ من الشيء ذِي الحَبِّ، والثالث وَصْفُ الْقِصَرِ... وأما اللزوم فالحُبُّ والمَحَبَّةُ، اشتقاقه مِن أحَبَّه إذا لَزِمَه". اهـ (١) وواضح أن المراد هنا في الآية هو المعنى الأول اللزوم والثبات.

قال ابن منظور: " الحُبُّ: نَقِيضُ البُغْض. والحُبُّ: الودادُ والمحبَّةُ، وكذلك الحِبُّ بالكسر". اهـ (٢)

وقال الراغب: "حَبَبْتُ فلاناً، يقال في الأصل بمعنى: أصبت حبة قلبه، نحو: شغفته وكبدته وفأدته، وأَحَبْبتُ فلاناً: جعلت قلبي معرَّضا لحبِّه"(٣).

المحبة في الاصطلاح:

وقال الراغب: " المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا، وذلك ضربان:

أحدهما: طبيعي: وذلك في الإنسان وفي الحيوان، وقيل: قد يكون ذلك في الجمادات كالألف بين الحديد وحجر المغناطيس"(٤).

قال الغزالي: "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكد

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٦).

(٢) لسان العرب (١/ ٢٨٩).

(٣) المفردات ص (١٠٥).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص (٢٥٦).

ذلك وقوي سمي عشقاً"(١).

ويكفي في تعريف المحبة ما قال عنها ابن القيم: "لا تُحَد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء"(٢). ولذا فهي واضحة بيِّنة بمعناها الحسي والوجداني.

وفي بيان المحبة ومسبباتها قال النووي: "أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة، والصوت، والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ ؛ لما جَمَع مِن جَمَال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والإبعاد من الجحيم". اهـ (٣)

من صفات أهل الاستبدال محبة الله منهم ولهم:

المحبة هي أول صفة وَصَف الله بها هؤلاء الذين يقوم عليهم الدِّين فقال تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} فهي عملية قلبية من العباد يُحبون ربَهم، والخالق جَلَّ شأنُه يحبهم، ومحبة الله لهم حقيقية بما يليق بجلاله وعظمته.

ولتقديم صفة المحبة على باقي الصفات المذكورة في الآية أهمية لا تَخفى على ذي لب، فإنها إذا تحققت على وجهها الصحيح استلزمت ما بعدها

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٩٦.
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٦).
(٣) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٤).

وكل خصال الخير والتوفيق.

وفي بيان فضلها قال القشيري: "جعل صفة مَن لا يَرْتد عن الدِّين أنَّ الله يحبه ويحب الله، وفى ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين؛ لأنه يجب أن يعلم أنَّ مَنْ كان غير مرتد فإنَّ الله يحبه. وفيه إشارة دقيقة فإنَّ مَنْ كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه. وفى الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد". اهـ (١)

ومحبة الخالق سبحانه منزلة عظيمة، وغاية جليلة من أدركها فقد حاز شرف الدارين، وهي منزلة تشرئب لها أعناق السائرين إلى الله، قال ابن القيم في منزلة المحبة في كتابه الماتع مدارج السالكين: "وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون؛ فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام. وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خَلَت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها. وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها. وتُبَوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها. وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب. وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب. تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله -يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة- أن المرء مع من أحب. فيا لها من نعمة على المحبين

---

(١) لطائف الإشارات (١/٤٣١).

سابغة"(١).

وعند النظر للآية نجد أن الله قدَّم محبته لهم ثم محبتهم له، وإنما كان هذا لشرفها وسبقها، فمحبة الله لهم تجعلهم يصلون للأعمال التي يحبها الله منهم، وكلما زادوا في المحبة زادوا في التقرب إليه بما يحب، فهي عملية متلازمة. قال الواحدي: "بدأ بمحبته؛ لأنها الجالبة والموجبة لمحبتهم، ولا يحب الله إلا من أحبه الله، ولولا محبة الله إياهم ما أحبوه"(٢). وقال أبوحيان: "وقدم محبته على محبتهم؛ إذ هي أشرف وأسبق"(٣).

وقال السعدي: "أجلُّ صفاتهم أن الله {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: {قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ}.

كما أن من لازم محبة الله للعبد، أنْ يُكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل... ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها،

(١) (٣/ ٤٢٩-٤٣٠).
(٢) التفسير البسيط (٧/ ٤٣٠).
(٣) البحر المحيط (١١/ ١٠٠) وبنفس العبارة عند تلميذه السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٠٧).

ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل"(١).

ولقد أكثر المفسرون في تحديد المراد بالقوم الذين يحبهم الله وهم يحبونه، والخلاف فيها هذا راجع لأصل المخاطبين بالآية وقد مر معنا الخلاف في ذلك ولا حاجة لإعادته.

المسألة الثانية: **معنى** {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} :

جاء هذان الوصفان المتقابلان في معناهما ليتجه أحدهما للمؤمنين، والآخر للكافرين، وأحد الوصفين هو مكمِّل للأخر، والاكتفاء بأحدهما يُوهم النقص إما في جانب اللين أو الغلظ، وقد أشار الطيبي في فتوح الغيب (٢) إلى أن الوصف بـ {أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} جيء به للتكميل؛ لأن الوصف قبله {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} يوهم أنهم أذلاء مُحقَّرون مُصغَّرون، فكمَّل بقوله: {أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ}، بمعنى أنهم مع عزّتهم وعلوِّ طبقتهم متواضعون مبالغون فيه لمن يجب أن يُتواضع له.

وقال ابن عاشور: "والأذلة والأعزة وصفان متقابلان وصف بهما القوم باختلاف المتعلق بهما... وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية، وهي المسماة الطباق، وبلغاء العرب يغربون بها، وهي عزيزة في كلامهم، وقد جاء كثير منها في القرآن". اهـ (٣)

ثم بيِّن ابن عاشور في لفتة بديعة أثر هذه الصفات على المؤمنين فقال: "وفيه إيماء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة فليسوا مندفعين إلى فعل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٨/١).

(٢) انظر (٣٩٦/٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٣٦/٥).

ما؛ إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون ليناً في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال، قال:

حليم إذا ما الحلم زين أهله   مع الحلم في عين العدو مهيب

وقال تعالى: {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]"(١).

الذلة للمؤمنين:

وصف الله المؤمنين الذين يصطفيهم بأنهم {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} وهي من الذّل وليس من الذُّل الذي هو بمعنى المهانة، قال العز بن عبد السلام: "هيِّنين ليِّنين، من الذّل لا من الذُّل، يقال: دابة ذلول؛ في المدح لا في الذم، أو أرقاء رحماء خاضعين"(٢). قال أبو حيان: "جمع ذليل لا جمع ذلول الذي هو نقيض الضعف، لأن ذلولاً لا يُجمع على أذلة بل ذلل"(٣).

ومعنى {أَذِلَّةٍ}أي: أرقاء عليهم، ورحماء بهم، وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وابن جريج(٤).

وجاء أيضاً في معنى {أَذِلَّةٍ}عدة عبارات ومدلولها واحد، فقيل أي: جانبهم لين للمؤمنين، وقيل: ذوي رأفة(٥). وقال ابن عطية: "معناه متذللين

---

(١) السابق (٥/١٣٦).
(٢) تفسيره (١/٣٧٩).
(٣) البحر المحيط (٤/ ٢٩٨).
(٤) أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره (٨/٥٢٧).
(٥) انظر الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٧٨٥)، وزاد المسير (٢/٣٨١-٣٨٢).

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

من قبل أنفسهم غير متكبرين"(١).

وبين مكانة هذا الصفة ابن كثير فقال: "قوله تعالى: {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] وفي صفة النبي ﷺ أنه: "الضحوك القتال" فهو ضحوك لأوليائه قتَّال لأعدائه"(٢).

وفي وصفهم قال ابن عباس: "تراهم للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته"(٣).

وجاءت التعدية فيها بحرف "على" لعلة بديعة بينها الزمخشري فقال: "(أذلة) جمع ذليل... ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غُبِّي عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة. فإن قلت: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يُضَمَّن الذل معنى الحنوّ والعطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم"(٤).

ومن النكات البليغة في التعبير بهذا اللفظ ما ذكره أبو حيان قال: "وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة، لأن أذلة جمع ذليل وأعزة جمع عزيز، وهما صفتا مبالغة، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله: {يُحِبُّهُمْ

---

(١) انظر المحرر الوجيز (٣/٥٥٠).
(٢) تفسيره (٣/ ١٣٦).
(٣) انظر التفسير البسيط (٧/ ٤٣٢).
(٤) الكشاف (٥/٦٣٠).

وَيُحِبُّونَهُۥٓ}؛ لأن الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صفة مبالغة، وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة، جاء الوصف بالاسم. ولما كانت قبل تتجدد؛ لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتب عليها، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد. ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن أوكد، ولموصوفه الذي قدم على الوصف المتعلق بالكافر، ولشرف المؤمن أيضا. ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن، قدم قوله: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} على قوله: {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ}"(١).

وقال ابن عاشور: "يطلق الذل على لين الجانب والتواضع، وهو مجاز، ومنه ما في هذه الآية. فالمراد هنا الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله: {عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ}. ولتضمين {أَذِلَّةٍ} معنى مشفقين حانّين عُدّي بـ (على) دون اللام، أو لمشاكلة (على) الثانية في قوله: {عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ}"(٢).

وربما تساءل أحد لماذا أهم أذلة للمؤمنين، أجاب عن ذلك السعدي بقوله: "ومن صفاتهم أنهم {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم"(٣).

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٢٩٨).
(٢) التحرير والتنوير (١٣٦/٥).
(٣) تيسير الكريم المنان (٤٢٨/١).

أما العزة على الكافرين:

فإنها بمعنى الغلظة والشدة على الذين كفروا بالله، أخرج الطبري عن علي بن أبي طالب ﷺ وابن جريج أن المراد بها: أشداء عليهم، غلظاء بهم(١).

قال العز بن عبد السلام: "أشداء غِلاظ"(٢).

قال مكي بن أبي طالب: "أي: جانبهم خشن على الكافرين. وقيل: أشداء عليهم ذوي غلظة "(٣).

قال المهدوي: "أي: جانبهم ليِّن للمؤمنين، غليظ على الكافرين"(٤).

قال أبو السعود: "أي أشداء متغلبين عليهم، مِن عزَّه إذا غلبه"(٥).

وفي عبارة أبي السعود المعنى والأثر، فالمؤمن عزيز على الكافر، وإذا عز عليهم سيغلبهم وتكون له الغلبة والعلو عليهم.

قال ابن عاشور: "الأعزة جمع العزيز فهو المتصف بالعز، وهو القوة والاستقلال، ولأجل ما في طباع العرب من القوة صار العز في كلامهم يدل على معنى الاعتداء، ففي المثل (مَنْ عَزَّ بَزَّ). وقد أصبح الوصفان متقابلين، فلذلك قال السموأل أو الحارثي:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل"(٦)

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير في تفسيره (٨/٥٢٧-٥٢٨).
(٢) تفسيره (١/٣٧٩).
(٣) الهداية (٣/ ١٧٨٥).
(٤) التحصيل (٢/٤٦٨).
(٥) إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٨٨).
(٦) التحرير والتنوير (٥/١٣٦).

وهنا ثمَّ مسألة: ربما توهم مَنْ قصُر فهمُه أن العزة على الكافرين تمنع دعوتهم بالحسنى كما ورد في القرآن في أكثر من موضع، وهذا غير سديد وفَهْم سقيم، فإن العزة على الكافرين تعطي مناعة وتحصيناً للمؤمن من الانصهار في هدي الكافرين، أو الانخراط في عقيدتهم من باب الإعجاب أو غيره، كما أن العزة هي الدافع المعنوي للإعداد النفسي لكل كافر صاد عن سبيل الله، قال السعدي في كلام غاية في النفاسة: "ومن صفاتهم أنهم على الكافرين بالله -المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى: {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]، فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم"(١).

ولعل مما يُجلّي المسألة أن العزة تُعتبر في ذاتها عمل معنوي قلبي، وأما ما يظهر من شدة أو غلظة فهو من آثار هذا العمل المعنوي، إذا عُرف هذا، فإن الكفار فئات، فمنهم المحارب، ومنهم المعاهد والمهادن، ومنهم المعادي لدين الله، ومن المتسامح، ومنهم غير ذلك..

وإن العزة بمعناها المعنوي يجب أن يمتلئ بها قلب المؤمن على كل كافر، بمعنى أن يستشعر المؤمن بأن الله قد رفعه بالإيمان وأعزه بالطاعة، كما قال تعالى: {فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]، وقال: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٨/١).

جَمِيعًا} [فاطر: ١٠]، وقال: {وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ} [المنافقون: ٨].

وأما الكافر فهو دون ذلك لِمَا اختار من الكفر وهو صنو المهانة، فالمؤمنون "ينظرون إليهم نظرة العزيز الغالب لا نظرة الذليل الخانع، فهم لا يتملقونهم، ولا يترضونهم في غير مرضاة الله"(١).

ومن جهة أخرى فإن الكافر المحارب يجب اظهار العزة وآثارها تجاهه، فتظهر له العداوة والغلظة والشدة، وأما غير المحارب فإنه يتم التعامل معه بالحسنى ـ مع استصحاب العزة المعنوية ـ، وهذا كما كان هديه ﷺ في التعامل مع اليهود في المدينة ونصارى نجران وغيرهم من غير المحاربين، فقد تعامل معهم بالحسنى لدعوتهم وتحبيبهم في الإسلام، والأصل في ذلك قوله تعالى: {لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الممتحنة: ٨ ـ ٩]

وبهذا يمكن الجمع بين الآيات الواردة في الغلظة على الكافرين، والآيات التي فيها دعوتهم بالحسنى والتلطف لهم بالقول والفعل، مع هديه ﷺ.

وإذا نظرنا في العزة الواردة في الآية فإنها جاءت في سياق وقوع الردة، ونكوص بعض المسلمين عن دينهم ودخولهم في الكفر، مما قد يسبب ثلمة في الإسلام، فإن مثل هؤلاء يجب اظهار العزة عليهم، والغلظة والشدة؛ ومن آثار العزة قتالهم كما سيأتي في بيان معنى {يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}؛ لأنهم خذلوا الإسلام والمسلمين. وبهذا يتضح أنه لا تعارض بين تحقيق العزة على الكافرين ودعوتهم أو التلطف لهم.

---

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة (٥/٢٢٥٢).

المسألة الثالثة: الجهاد والمراد به في الآية:

الجهاد لغة من بذل الجهد، والجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة. و(جهد) تأتي بفتح الأول وبضمها، فالفتح تعني المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم تعني الوسع والطاقة؛ وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة(١).

ويتضح من المعنى اللغوي أن (الجهاد) يُطلق على أكثر من معنى، وكذلك هو كمصطلح شرعي (٢) يمكن أن يُطلق على أكثر من معنى، فبذل الجهد في العمل والعلم والدعوة وغيرها، ومنها معنى خاص وهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد، ومنه الجهاد بالكلمة، وغير ذلك، وهذا بشكل عام، ويختلف المراد من المصطلح الشرعي بحسب سياق وروده.

معنى الجهاد في الآية:

وإذا نظرنا في أقوال المفسرين في معنى ﴿يُجَٰهِدُونَ﴾ في هذه الآية، نجد أنهم يفسرونها بالمعنى الخاص وهو قتال الكفار الصادين عن دين الله. وهو الأنسب لسياق الآية والصفات الواردة فيها.

(١) انظر مادة (جهد) في كل من: معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١)، ولسان العرب (١٣٣/٣).

(٢) عرَّف الفقهاء الجهاد بعدة تعريفات ومنها: جاء في رد المحتار على الدر المختار (١٢١/٤): "بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة، أو معاونة بمال، أو رأي، أو تكثير سواد، أو غير ذلك". وفي مواهب الجليل (٣٤٧/٣): "قتالُ مسلمٍ كافراً غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخول أرضه". وفي كشاف القناع (٣٣/٣): "قتال الكفار خاصة". وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢٤/١٦): "قتالُ مسلمٍ كافراً غير ذي عهد، بعد دعوته للإسلام وإبائه، إعلاءً لكلمة الله".

قال ابن جرير: "يعني تعالى ذكره بقوله: {يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} هؤلاء المؤمنين الذين وعد الله المؤمنين أن يأتيهم بهم إن ارتد منهم مرتد بدلاً منهم، يجاهدون في قتال أعداء الله، على النحو الذي أمر الله بقتالهم، والوجه الذي أذِن لهم به، ويجاهدون عدوهم، فذلك مجاهدتهم في سبيل الله"(١).

قال الألوسي: "{يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} بالقتال لإعلاء كلمته سبحانه، وإعزاز دينه جل شأنه"(٢).

ويؤكد هذا المعنى وأنه هو المراد في الآية توافقه مع سياق الآية وحصول الردة، فإن هؤلاء الذين يصطفيهم الله لنصر دينه يقاتلون الذين ارتدوا عن الإسلام، قال مكي بن أبي طالب: "{يُجَٰهِدُونَ} أي: يجاهدون من ارتد ولم يؤمن"(٣).

ووسع السعدي المراد بالجهاد في الآية وجعله بالقول والفعل فقال: "{يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم"(٤).

ومال إلى ذلك أبو زهرة في تفسيره فقال معلقاً على هذه الآية: "المجاهدة المغالبة وبذل الجهد، وهو أقصى الطاقة، {فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي: في سبيل رفعة كلمة الحق، ونصر دينه وإعلاء شأنه، وكل مجاهدة في إعلاء حق وخفض باطل هي في سبيل الله؛ لأن طريق الله تعالى هي طريق الحق أياً كان موضعه، وأياً كان باعثه؛ لأن شرع الله تعالى يدعو إلى الحق، وإلى صراط

---

(١) تفسيره (٨/ ٥٢٨).
(٢) روح المعاني (٧/٢٥٨).
(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٨٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٢٨).

مستقيم. وإن الجهاد تتنوع ضروبه، وتختلف أساليبه، فقد يكون بالسيف لإعلاء كلمة الله، ورد الأعداء عن أهل الإيمان، وقد يكون ببذل المال لنصر الدين والحق، وإعلاء كلمة أهل الإيمان، وقد يكون باللسان ببيان الحقائق الإسلامية، وتأليب الناس على المشركين، ولقد قال ﷺ: (جاهدوا المشركين بأنفسكم وألسنتكم وأموالكم) (١) ". اهـ (٢)

ولا ضير في توسيع المعنى، فإن جميع أنواع الجهاد مشروعة، ولكل مقام مقال، ولكل حال ما يناسبه، بيد أن المراد في الآية ما أشرنا إليه من قتال العدو والمرتدين كما ذكر المفسرون، وغيره يأتي تبعاً.

فالجهاد إذن من صفات أولئك القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله فهم يجاهدون في سبيل الله تعالى أي في نصرة دينه، وليس في غير ذلك(٣).

وهذه الصفة من أكبر العلامات الدالة على صدق الإيمان. قال ابن عاشور: "وقوله: {يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}صفة ثالثة، وهي من أكبر العلامات الدالة على صدق الإيمان. والجهاد: إظهار الجهد، أي الطاقة في دفاع العدو، ونهاية الجهد التعرض للقتل، ولذلك جيء به على صيغة مصدر فاعل؛ لأنه يظهر جهده لمن يظهر له مثله"(٤).

---

(١) الحديث صحيح، أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٢٢٤٦)، وأبو داود في السنن حديث رقم (٢٥٠٦). وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود.

(٢) زهرة التفاسير (٥/٢٢٥٣).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٥/١٣٧).

المسألة الرابعة: معنى {وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ}:

جاءت الصفة الأخيرة، والخاتمة للصفات العزيزة التي امتدح بها الله جل في علاه عباده الذين ينصرون دينه ويدفعون شر المرتدين عن دينه. فوصفهم الله بصرامتهم في الحق وعدم خوفهم ملامة أي لائم سواء من المنافقين أو غيرهم، وقد قيل كان المنافقون يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله عز وجل أن صحيح الإيمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولسانه لومة لائم، قال ابن عطية: "وقوله تعالى: {وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ} إشارة إلى الرد على المنافقين في أنهم كانوا يعتذرون بملامة الأحلاف والمعارف من الكفار، ويراعون أمرهم"(١).

وقال ابن الجوزي: "{يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ}لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله عز وجل أن صحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم"(٢).

وكلمة {لَوۡمَةَ} و {لَآئِمٖ} جاءت بصيغة التنكير، قال الزمخشري: "واللومة: المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان، كأنه قيل: لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللُّوَّام"(٣).

وعلّق الطيبي على قول الزمخشري بقوله: "وفيها وفي التنكير مبالغتان؛ لأنه ينتفي بانتفاء الخوفِ من اللومة الواحدة خوفُ جميع اللومات؛

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٥٥٠).
(٢) زاد المسير (٣٨٢/٢).
(٣) الكشاف (٦٣٥/١).

لأن النكرة في سياق النفي تعُمُّ، ثم إذا انضم معها تنكير فاعلها يستوعب انتفاء خوف جميع اللوم، وهذا تتميم في تتميم، أي: لا يخافون شيئاً من اللوم من أحدٍ من اللُّوام"(١).

وفي نفس السياق قال ابن عاشور: "واللومة الواحدة من اللوم. وأريد بها هنا مطلق المصدر كاللوم؛ لأنها لما وقعت في سياق النفي؛ فعمت زال منها معنى الواحدة، كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمم بدخول (ال) الجنسية؛ لأن (لا) في عموم النفي مثل (ال) في عموم الإثبات، أي: لا يخافون جميع أنواع اللوم من جميع اللائمين إذ اللوم منه: شديد، كالتقريع، وخفيف واللائمون: منهم اللائم المخيف، والحبيب فنفى عنهم خوف جميع أنواع اللوم. ففي الجملة ثلاثة عمومات: عموم الفعل في سياق النفي، وعموم المفعول، وعموم المضاف إليه. وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة"(٢).

المعنى المراد في الآية:

دارت كلمة المفسرين على أن المراد بهذه الصفة عدم خشية ملامة اللائمين، ويترتب على ذلك عدم تركهم للعمل خشية الملامة؛ بل هم يقومون بالواجب شرعاً دون النظر فيما سيقال عنهم.

قال ابن جرير: " ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ يقول: "ولا يخافون في ذات الله أحداً، ولا يصدهم عن العمل بما أمرهم الله به من قتال عدوهم لومة لائم لهم

(١) فتوح الغيب (٥/٣٩٨).
(٢) التحرير والتنوير (٥/١٣٧).

في ذلك"(١).

قال مكي بن أبي طالب: "{وَلَا يَخَافُونَ} في جهادهم ذلك {لَوْمَةَ لَآئِمٍ}، وهذا مما يدل على صحة خلافة أبي بكر؛ لأنه جاهد بعد النبي من ارتد لم يرجع لقول قائل"(٢).

وقال العز بن عبد السلام: "لا يمتنعون عن القيام بالحق لِلَوْمِ لائم"(٣).

وقال ابن كثير: "قوله تعالى: {يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ}أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل"(٤).

قال أبو حيان: "{وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ} أي: هم صلاب في دينه، لا يبالون بمن لام فيه. فمتى شرعوا في أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أمضوه لا يمنعهم اعتراض معترض، ولا قول قائل. هذان الوصفان أعني: الجهاد والصلابة في الدين، هما نتيجة الأوصاف السابقة؛ لأن من أحب الله لا يخشى إلا إياه، ومن كان عزيزاً على الكافر جاهد في إخماده واستئصاله.

(١) تفسيره (٨/ ٥٢٨).
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٨٥).
(٣) تفسيره (١/٣٧٩).
(٤) تفسيره (٣/ ١٣٦).

وناسب تقديم الجهاد على انتفاء الخوف من اللائمين؛ لمجاورته أعزة على الكافرين، ولأن الخوف أعظم من الجهاد، فكان ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى"(١).

وقال ابن عاشور: "وقوله: {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ} صفة رابعة، وهي عدم الخوف من الملامة، أي في أمر الدين، كما هو السياق... ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة بالنفس وأصالة الرأي. وقد عد فقهاؤنا في وصف القاضي أن يكون مستخفا باللائمة على أحد تأويلين في عبارة المتقدمين، واحتمال التأويلين دليل على اعتبار كليهما شرعا"(٢).

قال السعدي: " {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ} بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم"(٣).

وفي لفتة بديعة أشار لها ابن عرفة في تفسيره عن نكتة إفراد اللومة واللائم، والمناسب جمعهما؛ لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فأجاب بقوله: " هذا إشارة إلى أنهم لَا يخافون لومة لائم الذي يعتبر لومته، وهو

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١١/ ١٠٥).
(٢) التحرير والتنوير (١٣٧/٥).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٨/١).

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الذي له تمييز ومعرفة بحقائق الأمور ومواضع اللوم فيها". اهـ (١)

ومن المرتكزات الهامة في الآية لبيان معناها، الواو الواقعة في صدر الجملة {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ}، فقد وقع الخلاف فيها: هل هي حالية فتكون عدم الخشية عائدة لصفة الجهاد، أو تكون للعطف فتصبح صفة مستقلة بذاتها ؟

وفي ذلك يقول الزمخشري: "يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط.

أو أن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم "(٢).

والظاهر والله أعلم أن الواو للعطف، فصفة عدم الخشية من الملامة مستقلة بذاتها، وذلك لأن بعض الصفات السابقة -غير الجهاد- ربما تسببت في وقوع الملامة من مرضى القلوب، كالعزة على الكافرين، وهنا يحتاج المؤمن الصادق لعدم الاكتراث بالملامة من ضعاف النفوس.

فالصفة ليست مرتبطة فقط بالجهاد، بل يحتاجها المؤمن في أعمال كثيرة؛ لا سيما وأنه سبق وقد رجحت أن المراد بالجهاد في هذه الآية القتال

---

(١) تفسيره (٥٧٢/٢).
(٢) الكشاف (٦٣٥/١).

في سبيل الله، فإن الملامة تقع فيه من ضعاف النفوس، كما تقع على الجهاد بالكلمة وباللسان وبالإنفاق وغيره من أعمال صالحة.

فالصفة إذن عامة ومستقلة، عامة تشمل كل عمل يحتمل الملامة، ومستقلة غير مرتبطة بصفة سابقة لها، وإن كان الترتيب بين الصفات معتبراً؛ فبدأ من أعلاها شأناً وهي المحبة ثم العلاقة الاجتماعية والإيمانية مع المؤمن والكافر، ثم منابذة المرتدين وقتالهم، ثم ما يشمل كل ما سبق عدم خشية الملامة.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

تتمة:

ختم الله هذه الصفات بالإشارة إلى أنها محض فضل منه سبحانه فقال: {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ}واسم الإشارة {ذَٰلِكَ} مرده لجميع الصفات السابقة المذكورة في الآية، وقيَّده ابن عطية بأنها لصفة المحبة، قال ابن عطية: " {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ}الإشارة بذلك إلى كون القوم يحبون الله ويحبهم"(١).

والصواب أنها تعود لكل ما سبق ذكره، وهو قول جمهور المفسرين؛ فهي صفات تكاملية مبنية بعضها على بعض، وبعضها يلزم بعض، قال ابن الجوزي: " {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ} يعني: محبتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين"(٢). وقال الزمخشري: "و{ذَٰلِكَ} إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة"(٣). وقال ابن عاشور: "وجملة {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ} تذييل. واسم الإشارة إشارة إلى مجموع صفات الكمال المذكورة"(٤). قال محمد رشيد رضا: " {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ} أي ذلك الذي ذكر من الصفات الست، فَضْلُ الله يعطيه من يشاء من عباده، فيفضلون غيرهم به، وبما يترتب

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٥٥٠).
(٢) زاد المسير (٢/٣٨٢).
(٣) الكشاف (١/ ٦٣٥).
(٤) التحرير والتنوير (٥/١٣٧). وانظر البسيط للواحدي (٧/ ٤٣٢)، وانظر جامع أحكام القرآن للقرطبي (٨/٥٣).

عليه من الأعمال"(١).

وهذه الصفات منحة ربانية، وهبة إلهية، مَن رزقها فقد حاز فضلاً عظيماً، ولذا ختم الله الآيات باسمين عظيمين وهما الواسع والعليم، ففضله واسع وهو أعلم بمن يستحقه، قال ابن كثير: "من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له، {وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} أي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه"(٢)

قال السعدي: "ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم منَّ الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير، أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يُعْجَبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أنَّ فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المِنَن، قد عمتْ رحمتُه كلَّ شيء، ويوسع على أوليائه مِن فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمَن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلاً وفرعاً"(٣).

۞۞۞

(١) تفسير القرآن الحكيم (٦/ ٣٧٧).
(٢) تفسيره (٣/ ١٣٧).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٢٨).

الخاتمة

الحمد لله فقد تيسر لي بتوفيق الله عز وجل إتمام هذا البحث، وقد بذلت فيه قصارى جهدي، ووصلت لهذه النتائج:

١- أن الآية الرابعة والخمسين من سورة المائدة قد تناولت حكم الردة، وسنة الاستبدال في الأمم.

٢- أن هذه الآية جاءت مناسبة لما قبلها، حيث جاء قبلها النهي عن موالاة اليهود والنصارى، ثم بين بعدها الأثر المترتب على ذلك وهو الردة والبعد عن دين الله تعالى.

٣- الخطاب في الآية لعموم المؤمنين، ولم يرد فيها سبب نزول صريح، ويدخل فيها من قاتل المرتدين كأبي بكر الصديق .

٤- اشتمال الآية على الصفات الجليلة لمن يصطفيهم الله لنصر دينه.

٥- أن الآية تبين العلاقة التي يجب أن تكون بين المؤمنين مع بعضهم، وبينهم وبين غيرهم، فالمؤمنين رحماء فيما بينهم، وأعزة على الكافرين أشداء عليهم.

٦- المراد بالردة في الآية أصالة موالاة اليهود والنصارى وذلك بحكم السياق، وإن كن يدخل فيها باقي أنواع الردة.

٧- أن الآية تبين سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وهي سنة الاستبدال الظالمين بالصالحين، وذلك إذا تحققت أسبابها.

المراجع والمصادر

(١) أحكام القرآن، لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، ت. محمد عبدالقادر عطا، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي، ت. سيد إبراهيم، ط. دار الحديث ـ القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بم محمد بن مصطفى العمادي، ت. عبداللطيف عبدالرحمن، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٤) البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، الناشر دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة، الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م. وهي مصورة من طبعة السعادة عام ١٣٢٨هـ.

(٥) التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٦) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط. مؤسسة التاريخ ـ بيروت، الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٧) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأحمد بن عمار المهدوي، ت. دار الكمال المتحدة، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الأولى ١٤٣٥هـ.

(٨) تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورعمي، ت. جلال علوش، ط. دار ابن حزم ـ بيروت، الأولى ١٤٣٦هـ.

(٩) التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت. مجموعة باحثين ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض، الأولى ١٤٣٠هـ.

(١٠) تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، ط. جائزة دبي للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٥ هـ.

(١١) تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ت. فؤاد عبد الغفار، ط. المكتبة التوفيقية ـ القاهرة.

(١٢) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت. سامي بن محمد السلامة، ط. دار طيبة - الرياض، الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١٣) تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، ت. أسامة محمد الطيب، ط. مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة، الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار عالم الكتب ط١ - ١٤١٠هـ.

(١٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت. عبد الرحمن اللويحق، ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ.

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ت. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط. مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٧) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ت. د. عبدالله التركي، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(١٨) الحاوي الكبير، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٩هـ.

(١٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت. د. أحمد الخراط، ط. دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢٠) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. ت. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط. دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨هـ.

(٢١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ط. دار الفكر-بيروت، الثانية ١٤١٢هـ.

(٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمد الألوسي البغدادي، ت. علي عطية، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(٢٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين، محي الدين النووي، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢٤) زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢٥) زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة. ط. دار الفكر العربي.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

(٢٦) شرح صحيح مسلم محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ.

(٢٧) فتح المعين بشرح قرة العين بمهمَّات الدِّين، زين الدِّين بن عبد العزيز المليباري، مصطفى البابي الحلبي. ط٢ - ١٣٥٦هـ.

(٢٨) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت. إياد محمد الغوج وأخرون، ط. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٤هـ.

(٢٩) كشاف القناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي، ط. دار الكتب العلمية.

(٣٠) الكشاف، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت. محمد عبدالسلام شاهين، ط. دار الكتب العلمية - بيروت الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ومعه أربعة حواشي لابن المنير وابن حجر وغيرهم.

(٣١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.

(٣٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.

(٣٣) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ت. إبراهيم البسيوني، ط. الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة، الثالثة.

(٣٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ط. دار الكتب العربية - بيروت، بدون.

(٣٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت. السيد عبدالعال، ط. وزارة الأوقاف بقطر، الثانية ١٤٢٨هـ.

(٣٦) المحلى بالآثار، لعلي بن أحمد بن حزم، ت. د. عبدالغفار البغدادي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ.

(٣٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت. محمد حامد الفقي، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣٨) مدارج السالكين لابن القيم، ت. عبد العزيز الجليل، ط. دار طيبة، الرياض، الأولى ١٤٢٣هـ.

(٣٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، ت. شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٤٠) المصنف في الأحاديث والآثار، لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت. محمد عبدالسلام شاهين، ط. دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٤١) المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، ت. حمدي السلفي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٤٢) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت. عبد السلام هارون، ط. دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

(٤٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني الشافعي، ط. دار الكتب العلمية. الأولى ١٤١٥هـ.

(٤٤) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

(٤٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للفخر الرازي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(٤٦) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.

(٤٧) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، ط. دار الفكر – دمشق، الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٤٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٤٩) النكت والعيون، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت. السيد بن عبدالمقصود، ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، بدون تاريخ.

(٥٠) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، ت. مجموعة باحثين، ط. جامعة الشارقة، الأولى ١٤٣٠هـ.

(٥١) الوعد الأخروي، للدكتور عيسى السعدي. ط. دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، الأولى ١٤٢٢هـ.

فهرس الموضوعات

أهمية الموضوع وأسباب اختياره ٣٨٤٦
الدراسات السابقة.. ٣٨٤٦
منهج البحث ٣٨٤٦
خطة البحث ٣٨٤٧
تمهيد.. ٣٨٤٨
المبحث الأول: التعريف بالآية ٣٨٥١
المطلب الأول: أهمية الآية، وسياقها ومناسبتها لما قبلها وبعدها ٣٨٥٢
المطلب الثاني: سبب نزول الآية.. ٣٨٥٧
المطلب الثالث: وقفات مع معنى الآية ٣٨٥٩
المبحث الثاني: التفسير التحليلي للآية.................................... ٣٨٦٢
المطلب الأول: المخاطب بالآية.. ٣٨٦٣
المطلب الثاني: معنى الردة لغة وشرعاً.................................... ٣٨٦٧
المطلب الثالث: صفات الذين يُستَبدل بهم:................................ ٣٨٧٠
المسألة الأولى: صفة المحبة... ٣٨٧٠
المسألة الثانية: معنى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٣٨٧٤
المسألة الثالثة: الجهاد والمراد به في الآية: ٣٨٨١
المسألة الرابعة: معنى ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ ٣٨٨٤
الخاتمة... ٣٨٩٢
المراجع والمصادر ٣٨٩٣
فهرس الموضوعات ٣٨٩٩

تمّ بحمد الله